مجلة البحوث والدراسات

العدد (20) ـ السنة (12) شعبان 1436 هـ ـ يونيو (جوان) 2015 م

محور بحوث العلوم الإسلامية

صفحة بيضاء

في التفسير العلمي للآيات القرآنية
(دراسة تحليلية لنماذج مختارة)

بقلم
د/ عبد الرحمن تركي (*)

ملخص

في هذا المقال تطرقت إلى تعريف التفسير العلمي للآيات والكلمات القرآنية، فأوردت تعاريف عديدة له، هذه التعاريف تشير إلى مواقف العلماء والمفسرين منه، ما بين مؤيد ومعارض، كما أوردت نماذج للتفاسير العلمية التي تلقاها العلماء بالقبول، وللتفاسير العلمية التي رُفضت، نظرا لمخالفتها للتفسير بالمأثور من القرآن أو السنة الصحيحة، أو لعدم ملاءمتها لألفاظ الآيات ومعانيها الحقيقية.

الكلمات المفتاحية: التفسير- القرآن- العلم- الإعجاز.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه وتعالى وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، النبي الأمي الذي جاء ذكره في التوراة والإنجيل، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

في هذه المقدمة نقول إن القرآن الكريم هو مصدر يقيني للحقائق العلمية في مجالات الكون والحياة والنفس، ومن الآيات القرآنية الدالة على هذا الأمر:

(*) أستاذ محاضر "أ" بقسم العلوم الإنسانية ـ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ـ جامعة الوادي.
adab---39@hotmail.com

1- قوله تعالى: ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جُدد بيض وحُمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه، كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء، إن الله عزيز غفور** ﴾ (1).

2- قوله تعالى: ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما، وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون** ﴾ (2).

3- قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة، لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى، ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا، وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ (3).

وفي القرآن تتكرر الدعوة إلى النظر في الآفاق والأنفس، ومن السور القرآنية التي تدل بتسمياتها على هذا التوجيه: الأنعام، الرعد، النحل، النمل، العنكبوت، الدخان، النجم، القمر، الحديد، الإنسان، التكوير، الانفطار.

وفي القرآن يقسم الله تعالى ببعض مخلوقاته، للدلالة على مكانة التأمل في الكون واستنباط القوانين التي تحكمه، ومن أمثلة القسم في القرآن:

1- قوله تعالى: ﴿**والسماء ذات البروج**﴾ (4).

2- قوله تعالى: ﴿**والسماء والطارق**﴾ (5).

3- قوله تعالى: ﴿**والفجر وليال عشر**﴾ (6).

4- قوله تعالى: ﴿**والشمس وضحاها**﴾ (7).

5- قوله تعالى: ﴿**والليل إذا يغشى**﴾ (8).

6- قوله تعالى: ﴿**والضحى والليل إذا سجى**﴾ (9).

7- قوله تعالى: ﴿**والتين والزيتون وطور سينين**﴾ (10).

8- قوله تعالى: ﴿**والعاديات ضبحا**﴾ (11).

وفي القرآن خلق الله سبحانه هذا العالم بما فيه من سموات وأرضين وجبال وبحار وإنسان وحيوان ونبات، وخلق كل العوالم المتصلة أو المحيطة به، وأودع الله سبحانه هذا العالم سننا وقوانين تحكمه وتسيّره، وأمر الله سبحانه الإنسان أن يتأمل في هذا العالم، وينظر في كل أجزائه، كي يستخرج هذه السنن والقوانين لنفعه وصلاحه، ومن الآيات القرآنية المبينة لهذا الأمر:

1- قوله تعالى: ﴿ **إن في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء، فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، لآيات لقوم يعقلون**﴾ (12).

2- قوله تعالى: ﴿ **أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، فبأي حديث بعده يؤمنون** ﴾ (13).

3- قوله تعالى: ﴿ **قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ (14).

4- قوله تعالى: ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت** ﴾ (15).

وإن القرآن الكريم يبين أنه كلما ازداد الإنسان علما كلما ازداد قربا من الله تعالى، وكلما ازداد فهما للسنن والحقائق العلمية كلما ازداد إيمانا بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ **ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل إليك من ربك هو الحق، ويهدي إلى صراط العزيز الحميد**﴾(16).

في التفسير العلمي تتبين معجزة القرآن المنزل على النبي محمد ﷺ، النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب، ونزل عليه القرآن يحمل حقائق وإشارات علمية عديدة.

ولما اكتشف العلماء في العصر الحديث كثيرا من الحقائق في مختلف مجالات العلوم والتكنولوجيا لاسيما في الغرب والدول المتطورة، قام عدد من العلماء والباحثين في العالم الإسلامي بتفسير الآيات القرآنية التي تتحدث عن السموات والأرض والأحياء

والدواب والجمادات، مستعينين بالدراسات والأبحاث التي قام بها العلماء المختصون في علوم الفلك والرياضيات والفيزياء والطب وغيرها من العلوم.

وجاءت دراسات الباحثين في هذا الميدان متباينة، فمنهم من تقيد بعلوم اللغة العربية وبالتفسير بالمأثور، ومنهم من ابتعد عن المعاني القرآنية اليقينية وتعسف في تأويل الكلمات والآيات القرآنية، بدعوى ملاءمة الآية للمستجدات العلمية.

ولقد اهتم كثير من العلماء والمفسرين ببيان الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، أي أن القرآن قد سبق العلم الحديث في اكتشافه لكثير من الحقائق العلمية مثل مراحل تكوّن الجنين في بطن أمه، والحديث عن فوائد المياه والأمطار والبحار والجبال والأنهار والرياح وغيرها من عناصر الأرض والكون.

وركّز هؤلاء دراساتهم وأبحاثهم التفسيرية على الآيات القرآنية التي تحمل حقائق وإشارات علمية، وهي كثيرة في القرآن.

نتناول في هذا الموضوع تعريف التفسير العلمي للآيات القرآنية، والتفريق بينه وبين الإعجاز العلمي في القرآن، ونتناول كذلك نماذج ومحاولات تفسيرية لاقت قبولا وتجاوبا من العلماء، ونماذج لم تلق تجاوبا، وذلك لأنه ليس هناك وصل لغوي أو رابط علمي بين الآية القرآنية والحقيقة العلمية المراد تأكيدها من خلال تفسير الآية.

ونبين أن هذا النوع من التفسير غايته بيان أن النص القرآني لا يمكن أن يحوي إلا الحقائق الثابتة اليقينية، والتي نرى ما يؤكدها في دراسات العلماء المختصين في مختلف العلوم.

1- التعريف:

عُرّف التفسير العلمي للقرآن الكريم بتعاريف عديدة أهمها:

1. توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية، وهذه المعارف قد تكون حقائق وقوانين، كما قد تكون فروضا ونظريات، إن لم تتوفر الحقائق والقوانين، لأن التفسير محاولة بشرية لحسن فهم القرآن، إن أصاب المفسر فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، ولا ينسحب خطؤه على جلال القرآن الكريم وقدسيته [17].

2. اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان[18].

3. التفسير الذي يتحدث عن الاصطلاحات العلمية في القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم منه[19].

4. النظر الذي يسعى إلى استخراج مختلف العلوم، والآراء العلمية من الآيات القرآنية[20].

5. يقوم أصحاب هذا الاتجاه على تفسير الآيات تفسيرا علميا، وفق قواعد العلم الحديث، ويبينون المضامين العلمية للآيات، وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث[21].

6. يقع الاهتمام في هذا التفسير بعدد من الآيات تمتّ بموضوعها إلى العلوم الحديثة، كالآيات التي يُذكر فيها الكون بأرضه وسمائه وكواكبه، والآيات التي تتحدث عن الإنسان في خلقته وخُلُقه وعاداته[22].

7. الدراسة المركزة على الآيات العلمية، أو الآيات الكونية الواردة في القرآن، يذكرها الباحث عادة دون تقيّد بترتيبها في المصحف، بل يستشهد بما تيسر منها كلما تطلب منه البحث ذلك، والغالب على هذه الدراسات أن تكون مبوبة على الموضوعات[23].

8. النظر في الآيات ذات المضامين العلمية من الزاوية العلمية، وتفسيرها تفسيرا علميا، وذلك بالاستعانة بالعلوم والمعارف والمكتشفات الحديثة في توسيع مدلولها وتقدير معناها[24].

9. اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن[25].

10. الكشف عن معاني الآية القرآنية أو الحديث النبوي، في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية[26].

11. استخدام حقائق العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية، وتوسيع مدلولاتها[27].

وهذا التعريف يبين أن حقائق العلوم التجريبية خادمة للآيات القرآنية، في زيادة

إيضاح معانيها وتوسيع مدلولاتها، لأن معاني الآيات القرآنية كانت واضحة للصحابة والتابعين والمفسرين الأوائل، وإنما أسهم العلم التجريبي الحديث في زيادة الإيضاح وتوسيع المعنى والمدلول (28).

ومن التعاريف المتداولة للتفسير العلمي:

1. التفسير الذي يرمي إلى جعل القرآن مشتملا على سائر العلوم ما جدّ منها وما يجد(29).

2. التفسير الذي يُحكّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها (30).

3. تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية (31).

4. التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية، وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والمعارف منها (32).

وهذه التعاريف يلاحظ عليها (33):

1. أن فيها عبارات يُفهم منها التحامل على هذا اللون من التفسير، لأنه يُخضع عبارات القرآن للنظريات العلمية المتغيرة.

2. أن هذه التعاريف للتفسير العلمي لا تدل على الصورة التي يريدها القائلون به (أي أصحاب الاتجاه العلمي في التفسير)، إذ أنهم لا يعترفون بأنهم في تفسيرهم يُحكّمون الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، وإن كان قد وقع من بعضهم ذلك، وإنما يقصدون خدمة القرآن ببيان وجه من وجوه الإعجاز فيه، وتقريب فهمه إلى عقول الناس في وقت ضعفت فيه الملكات اللغوية، وغزا فيه العلم كل شيء في حياة الناس.

وقد تعمّق هذا الاتجاه في العصر الحديث بسبب التقدم العلمي الكبير، وحدوث نظريات وكشوف علمية عديدة في مختلف ميادين العلوم الحديثة، مثل: علم الفلك، وعلم طبقات الأرض، وعلم الفضاء والنجوم والكواكب، علم النفس الإنساني، وجسم الإنسان، علم النبات، وعلم الحيوان (34).

وقد وردت آيات عديدة في القرآن ذات مضامين علمية، تشير إلى هذه الميادين العلمية المختلفة، مما أدّى بالمفسرين ذوي الاتجاه العلمي إلى تفسير تلك الآيات بتلك الميادين العلمية(35).

ومن أشهر التفاسير التي اهتمت بالجانب العلمي(36):

1. التفسير الكبير لفخر الدين الرازي.

2. الجواهر في تفسير القرآن لطنطاوي جوهري، والمسمى بـ: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المشتمل على عجائب بدائع المكونات، وغرائب الآيات الباهرات.

وقد بالغ جوهري كثيرا في التفسير العلمي، وخرج من التفسير إلى شرح مسائل علمية عديدة في مختلف الميادين، حتى قيل: في تفسيره كل شيء ما عدا التفسير(37).

3. التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن لحنفي أحمد.

4 . من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لزغلول النجار

5. تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لعبد المجيد الزنداني.

6. المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم لعبد العليم عبد الرحمن خضر.

7. القرآن والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل.

وحتى يكون التفسير العلمي للقرآن صحيحا ومقبولا لا مبالغة فيه يجب أن يتقيد المشتغلون به بالقيود والضوابط الآتية(38):

1. الالتزام بتفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة النبوية الصحيحة، أو تفسير القرآن وفقا لعلوم اللغة العربية التي نزل القرآن بها، أي أن التفسير العلمي يشترط فيه ألا يتعارض مع ما جاء في القرآن أو في السنة الصحيحة، وألا يتعارض مع اللغة العربية واستعمالاتها.

كذلك لابد أن ينسجم التفسير العلمي للآية مع الآيات الأخرى الواردة في الموضوع ذاته، وملاحظة المعنى العام لمجموع آيات مرتبة في نفس السورة، ومراعاة ما سبقها من الآيات وما تلاها.

2. ذكر الحقائق العلمية من باب أنها طريق موصل إلى الإيمان بالله تعالى وملائكته

وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومن باب التأكيد على أن ما جاء به القرآن هو الحق والصدق في العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات.

3. البعد عن التعسف في تأويل الآيات والكلمات القرآنية حتى توافق النظريات العلمية، بينما هي لا تدل عليها ولا تمت إليها بصلة.

4. تفسير الآيات القرآنية التي تحمل حقائق وإشارات علمية، على أساس أن القرآن كتاب أوحاه الله تعالى بواسطة الملك جبريل عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لهداية الخلق ودعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والالتزام بمبادئ الإسلام وأحكامه، وعلى أساس أن القرآن كتاب لا يصادم أي حقيقة علمية يقينية في علم الفلك أو في علم الطب أو في غيره من العلوم، وعلى أساس أن القرآن أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته به، ليبلغ درجة الكمال روحا وجسدا، وفتح الباب لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة، ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها، في الزمان الذي يعيشون فيه.

2 - الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم[39]:

يحتوي القرآن الكريم على أكثر من ألف آية صريحة تتحدث عن الكون، وعن بعض مكوناته وظواهره، بالإضافة إلى آيات أخرى كثيرة تقترب دلالاتها من الصراحة (تكوّن حوالي سدس القرآن الكريم)، وتشكل جانبا من أهم جوانب الإعجاز في كتاب الله يعرف باسم (الإعجاز العلمي للقرآن الكريم)، والعلم التجريبي له طبيعة تراكمية، بمعنى أنه كلما اتسعت دائرة المعرفة بالكون كلما أدرك الإنسان من أسرار هذا الكون ما لم يكن معروفا من قبل.

في التفسير العلمي للآيات القرآنية يحرص المفسر على توظيف الحقائق العلمية الثابتة كلما توفرت، ولكن لمّا كانت العلوم الكونية لم تصل بعد إلى الجواب النهائي في كل قضية من قضايا الكون ومكوناته وظواهره، لا مانع من توظيف أفضل النظريات المتاحة، وذلك لأن التفسير جهد بشري يحاول فهم دلالة الآية القرآنية.

أما الإعجاز العلمي فلا يجوز أن يُوظف فيه إلا القطعي الثابت من الحقائق العلمية، وذلك لأن الإعجاز العلمي هو موقف تحدّ، والمتحدي لابد وأن يكون واقفا على أرضية صلبة، وذلك لأن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم هو سبقُ هذا الكتاب الخالد في ذكر حقائق الكون وظواهره، لم تكن معروفة لأحد من البشر في زمن تنزله، بحيث لا يمكن لعاقل أن يتصور إمكانية الوصول إليها في ذلك الزمن إلا بوحي من الله سبحانه.

ويُستثنى من هذه القاعدة آيات الخلق والإفناء والبعث، بما في ذلك خلق الكون والحياة والإنسان، لأنها من القضايا التي لم يشهدها الإنسان، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت مُتّخذ المضّلين عضدا**﴾(40).

وعلى ذلك فإن العلوم المكتسبة لا يمكن لها أن تتعدى في قضايا الخلق والإفناء والبعث مرحلة التنظير، وتتعدد النظريات بتعدد خلفية واضعيها، ويبقى للمسلم نور من الله تعالى في الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الصحيحة، يعينه على أن يرتقي بإحدى هذه النظريات إلى مقام الحقيقة، وهذا هو المقام الوحيد من مقامات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السّنة الصحيحة الذي يُلجأ فيه للنظريات لعدم توفر الحقيقة، والتي لا تتوفر إلا في القرآن الكريم والسّنة النبوية الصحيحة.

والخلاصة فالتفسير العلمي هو إيضاح الآية القرآنية وشرحها وفق الحقائق العلمية والكونية، أو وفق ما توصلت إليه العلوم الحديثة في النفس والكون والفضاء والحياة، والإعجاز العلمي هو بيان سبق النص القرآني للمكتشفات العلمية في هذا العصر، وبيان تحديه في كل ما جاء به من الإشارات العلمية الصادقة، والتي لا يمكن لأي عالم إلا أن يصدقها ويثبتها، على عكس الكتب الدينية لدى اليهود أو النصارى والتي تمتلئ بالخرافات والأساطير.

والإعجاز العلمي ليس في احتواء القرآن للنظريات العلمية التي تتجدد وتتغير وتتبدل، نتيجة للجهد البشري في البحث والنظر، وإنما في احتوائه للحقائق العلمية الثابتة التي صدقتها العلوم التجريبية المعاصرة، وفي حثه على التأمل والنظر في الأنفس

والآفاق، وفي دعوته إلى الاستزادة من العلوم النافعة، وليس ثمة كتاب من الكتب السماوية السابقة يشتمل على الحقائق العلمية كاشتمال القرآن عليها.

3 – نموذج من التفسير العلمي المردود(41):

تفسير قوله تعالى: ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم** ﴾(42) بالأقمار الصناعية وغزو الفضاء، فهذه الأقمار التي خرجت من الأرض في الوقت الذي انتشر فيه الإلحاد، لتتحدث عما في الكون الغامض وتزيح بعضا من هذا الغموض.

وهذا التفسير يتضمن أيضا أن في هذه الآية من المعجزات التي لم تتحقق بعد، وأن الزمان في انتظارها، ويربط بينها وبين الأقمار والصواريخ التي خرجت من الأرض وهي تدب إلى السماء، وأنها تكلم الناس بلغة العلم وهي اللغة العالمية، ويتوقع أنه عن طريق هذه الأقمار والصواريخ سيعرف العالم ما في الكون من معجزات(43).

هذا التفسير للدّابة تنقصه الدقة في المطابقة اللغوية في ألفاظ الآية من جهة، والدقة في المناسبة بين الآية وبين ما تقدمها من الآيات التي عطفت عليها من قوله تعالى: ﴿ **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾(44) إلى قوله تعالى: ﴿ **وما أنت بهادي العُمي عن ضلالتهم إن تُسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** ﴾(45).

فالقول أُريد به أخبار الوعيد التي كذبوها متهكمين باستبطاء وقوعها بقولهم في الآيات السابقة: ﴿**متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾، فالتعريف في القول للعهد لدلالة المقام عليه، والوقوع في قوله (وقع) مستعار لحلول وقته، والتعبير عن وقوعه بصيغة الماضي لتقريب زمن المستقبل من الماضي ولتحقق الوقوع.

أما الدابة فهي في اللغة العربية اسم للحي من غير الإنسان مشتقة من الدبيب وهو المشي على الأرض وهو من خصائص الأحياء، والقرآن أثبت للدابة كلاما وأسند إليها التكلم، وسفن الفضاء والأقمار الصناعية لا تتكلم، والكلام المسموع منها هو كلام الإنسان الذي تحمله، فشأنها شأن غيرها من الآلات التي اخترعها الإنسان تنقل الكلام ولا تتكلم، وفي معنى هذا ما ترسله من إشارات فإنها بوضع الإنسان وتركيبه، وليس لها

ذلك الإدراك الذي يعطينا صحة إطلاق الوصف عليها بأنها متكلمة عن إرادة واختيار.

كما أن في الآية ربطا تامّا بين أداة الشرط (إذا) وبين جوابها وهو (أخرجنا) مما يدل على أن خروج هذه الدابة مرتبط بحلول وقت الوعيد الذي وُعد به المكذبون، كما أن هذا التفسير بعيد عمّا ورد عن النبي ﷺ، والمقرر لدى العلماء أنه إذا ورد عنه ﷺ شيء في التفسير وصحّ ذلك عنه فلا يُعدل عنه إلى غيره لأنه أعلم خلق الله بمعاني القرآن، وقد روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعدُ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضُحى، وأيّهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا»(46).

وعليه فدّابة الأرض تعبير قرآني عن حيوان، لا نعلم نوعه ولا شكله أو هيئته، ويظهر للناس قبيل الساعة يكلمهم، وحينئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

4 – نموذجان من التفسير العلمي المقبول:

1 – النموذج الأول (خلق الكون):

يُراد بخلق الكون إيجاده من العدم، أي من غير شيء، ومن غير مثال سابق، هذا ما نجده في القرآن الذي نهج نهجا وصفيا في موضوع الكون، إذ وصفه وصفا شاملا دقيقا كما هو في الواقع، أو كما يراه الإنسان، وعبّر عنه تعبيرا كيفيا وكميا، أي عرض الظواهر وخصائصها وأعطى مقاديرها ومواقيتها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى إجمالا، ولم يصف القرآن الكون على أنه مجرد كائنات كما هو الحال في الكتب الطبيعية، وإنما وصفه من حيث دلالته على الله تعالى وقدرته المطلقة، والذي (أي القرآن) تطابق ما جاء به من حقائق الإنسان والمادة والزمان والمكان والظواهر الكونية المتعددة، تطابق مع الملاحظة العلمية لجملة الكائنات، يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ **والأرض مددناها** ﴾ (47)، أي بسطناها، أي أن كل البشر في أي مكان يجدون الأرض مبسوطة ومستمرة الانبساط أينما ساروا إلى الأبد سيجدونها مبسوطة ولا نهاية لهذا البسط أبدا،

والشكل الوحيد الذي لا نهاية لبسطه هو الشكل الكـروي[48].

كما نجد في القرآن أن الكون قد أحسن الله خلقه، وأتم صنعته وأكملها، بحيث لا يُرى فيه أي اختلال أو اعوجاج أو تناقض، قال الله تعالى: ﴿ **ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير** ﴾[49][50].

وفي هذه المسألة لم يحوِ القرآن الأفكار الخرافية التخمينية عن الكون ومصدره، والتي حملتها النظريات والمفاهيم الفلكية المتوارثة منذ عصر بطليموس[51] والقائلة إن الأرض هي مركز الكون الثابت، وقد هدمتها في أوربا نظرية كوبرنيكوس[52] التي تقول أن الأرض والكواكب السيارة الأخرى تدور حول الشمس وحول نفسها[53].

تحدّث القرآن أولا عن وحدة مادة الكون الأولى حيث قال الله تعالى: ﴿ **أولـم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما** ﴾[54]، ثم تحدث عن الحالة الأولى لتلك المادة (الدخان أو السديم)، فقال الله تعالى: ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهي دخان** ﴾[55][56].

والآيتان السابقتان تشيران إلى أن السماوات والأرض كانتا كتلة واحدة، وجسما واحدا، وعلم الفلك اليوم يعتبر أن المادة الكونية الأولى كانت جامدة، وهي ذات أصل غازي ساخن ومتكاثف، ثم حدث في هذه الكتلة انفجار هائل أدّى إلى تباعد أطراف الكتلة وتحركها، وفق قانون الجاذبية، وبعد مراحل عديدة تشكلّت المجموعة الشمسية ومنها الأرض، وقد دلت الأبحاث التي أُجريت على الصخور والأتربة القمرية، والتي نقلها رواد الفضاء والمركبات الفضائية، على أنها تحتوي على العناصر ذاتها التي تشتمل عليها صخور وأتربة الأرض، فاستدل العلماء بذلك على أن العناصر التي يتألف منها الكون هي عناصر واحدة، الأمر الذي يثبت وحدة الكون قبل الانقسام والانفصال، وفي رأي علماء الفلك – بعد جمع الأدلة المستمدة من تباعد المجرات ومن دورة حياة النجوم – أن المجرات التي نشاهدها في الكون كانت كلها

مجتمعة في نقطة ما، ثم أخـذت تتفكك وتبتعـد عن بعضها البعض (57).

كما أخبر القرآن أن الله تعالى حدد لكل كوكب دورانه في فلكه ومستقره، مجزئا بذلك المادة التي تتألف منها الأرض، ومقررا جميع القوانين التي تُسير الظواهر الطبيعية، ثم تكوّن الظواهر الحيوية، يتضح هذا في قوله تعالى: ﴿ **وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر، كل في فلك يسبحون** ﴾ (58)، وفي قوله: ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي** ﴾ (59) (60).

وفي بدء الحياة الحيوانية على الكون، ألقى القرآن الضوء على أصول الأرض البعيدة التي وجد فيها الإنسان، ومن الأهمية بمكان أن نلحظ التوافق بين بدء الدورة العلمية وما جاء في القرآن، إذ قال تعالى: ﴿ **الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين** ﴾(61)، والطين يتضمن الماء وهو نقطة البدء في الدورة البيولوجية في النظرة العلمية، وهو الطور الأول في ابتداء الخلق كما جاء في القرآن: ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي** ﴾ (62) (63)، فقوله تعالى يشير إلى أن الله خلق كل شيء من الماء وحفظ حياة كل شيء بالماء (64).

2 - **النموذج الثاني (السر في تخصيص البنان بالذكر في القرآن)** (65):

من التفسير المقبول توضيح السّر في تخصيص القرآن بالذكر عضوا من الجسد له أهمية خاصّة، كشف عنها العلم في هذا العصر، هذا العضو هو البنان المذكور في قوله تعالى: ﴿ **أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نُسوّي بنانه** ﴾ (66).

وسواء فُسّرت كلمة البنان بالأصابع بما تشتمل عليه من مفاصل وأظفار وعروق لطاف وعظام دقاق، أو بأطراف الأصابع والبصمات وما فيها من غرابة الوضع ودقة الصنع، فإن المعنى اللغوي للكلمة يؤدي هذه المعاني كلها.

والسؤال لِمَ خصّ البنان بالذكر دون باقي الأعضاء، مع أن المناسبة بين السؤال والجواب كانت تقتضي أن يكون الجواب: بلى قادرين على أن نسوّي عظامه ؟.

هذا السؤال أجاب عنه علم تحقيق الشخصية، بأن أدق ما في البنية الإنسانية تسوية

البنان، ولهذا لا تجد بنانا في إنسان يشبه بنانا آخر في غيره، ولذا حُكّم في تحقيق الحوادث والاستغناء به عن التوقيع بصريح الاسم، ذلك لأن أي جزء في جسم الإنسان قد يتشابه، ولكن البصمات أدلّ على الإنسان من وجهه ومن صورته، وهي من أخصّ خصائصه.

فالقرآن الكريم يقول في مقام التحدي: إن إعادة الخلق أمر يسير عند الله تعالى، حتّى البصمات التي تميّز كل إنسان عن غيره سوف تعود كما كانت.

خاتمة

نخلص في هذا الموضوع إلى أن التفسير العلمي للآيات القرآنية اهتم به المفسرون قديما وحديثا، لما له من أهمية وفائدة في بيان خصائص القرآن وإعجازه.

ولما له من أهمية في زيادة بيان الآيات القرآنية التي تحدثت عن الكون وأجزائه، والتي عُدّت ضمن المتشابه الذي لا يمكن فهم معناه إلا بالرجوع إلى غيره، والتي (أي هذه الآيات) تحدثت عن حقائق علمية كشفتها اليوم أبحاث العلوم الفلكية والطبيعية والرياضية.

ولما له من أهمية في مجال الدعوة الإسلامية، حيث يزداد المؤمنون إيمانا عند العلم باتفاق القرآن مع المكتشفات والبحوث العلمية الحديثة، وحيث يتعرف العلماء من أهل الأديان الأخرى على وجوه الإحكام والقدرة والعناية في هذا العالم، فيدركوا بالشواهد والمعجزات العلمية أن هذا العالم لم يخلق نفسه، وأن له ربّا خالقا عليما قادرا سبحانه.

كما يدركون صدق القرآن وصدق النبي محمد ﷺ فيما أخبر به عند قراءتهم للقرآن الكريم.

وللتفسير العلمي ضوابط أهمها العلم بلغة القرآن وإدراك معانيها المتعددة، والعلم بعلوم التوحيد والفقه وأصوله والحديث النبوي وعلومه، والعلم بالحقائق العلمية اليقينية، وعدم تفسير الآية بالفرضيات العلمية غير الثابتة.

- الإحالات والهوامش:

1 - فاطر 27، 28.
2 - الأنبياء 30.
3 - الحج 5.

4 – البروج 1.
5 – الطارق 1.
6 – الفجر 1، 2.
7 – الشمس 1.
8 – الليل 1.
9 – الضحى 1، 2.
10 – التين 1، 2.
11 – العاديات 1.
12 – البقرة 164.
13 – الأعراف 185.
14 – يونس 101.
15 – الغاشية 17 – 20.
16 – سبأ 6.
17 – زغلول النجار: **من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط6، 2003، ج1، ص 35.
18 – فهد بن عبد الرحمان الرومي: **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1997، ج2، ص 549.
19 – أحمد عمر أبو حجر: **التفسير العلمي للقرآن في الميزان**، دار قتيبة، بيروت، ط1، 1991م، ص 66.
20 – جلال الدين العلوش: **دراسات في التفسير وعلومه**، دار اليمامة، بيروت، ط1، 2006، ص 72.
21 – صلاح عبد الفتّاح الخالدي: **تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين**، دار القلم، دمشق، ط4، 2010، ص 566.
22 – هند شلبي: **التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق**، مطبعة تونس قرطاج، تونس، ط1، 1985، ص 14.
23 – هند شلبي: **المرجع السابق**، ص 14، 15.
24 – الشدّي (عادل بن علي بن أحمد): **التفسير العلمي للقرآن، جذوره والموقف منه**، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1426هـ – 2005م، دون ذكر دار النشر ولا تاريخه، ص 9.
25 – الشدّي: **المرجع السابق**، ص 10، والتعريف منقول من كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي ج2، ص 549.
26 – الشدّي: **المرجع السابق**، ص 10، والتعريف منقول من كتاب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لعبد المجيد الزنداني، ص 33.
27 – الشدّي: **المرجع السابق**، ص 13.

28 – الشدّي: **المرجع السابق،** ص 13.

29 – محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون،** مكتبة مصعب بن عمير، 2004، ج2، ص 195.

30 – أحمد عمر أبو حجر: **المرجع السابق،** ص 65، والشدّي: **المرجع السابق،** ص 9، والتعريف لأمين الخولي، منقول من كتاب التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم، ص 19.

31 – الشدّي: **المرجع السابق،** ص 9، والتعريف منقول من كتاب لمحات من علوم القرآن لمحمد لطفي الصباغ، ص 203.

32 – أحمد عمر أبو حجر: **المرجع السابق،** ص 65، والشدّي: **المرجع السابق،** ص 9، 10، والتعريف منقول من كتاب اتجاهات التفسير في العصر الحديث لعبد المجيد المحتسب، ص 247.

33 – أحمد عمر أبو حجر: **المرجع السابق،** ص 65، 66.

34 – الخالدي: **المرجع السابق،** ص 566، 567، ومحمد إبراهيم شريف: **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم**، دار السلام، مصر، ط1، 2008، ص 461.

35 – الخالدي: **المرجع السابق،** ص 567.

36 – الخالدي: **المرجع السابق،** ص 567، 568، ومحمد حسين الذهبي: **المرجع السابق،** ج2، من ص 196 إلى ص 200، وأحمد عمر أبو حجر: **المرجع السابق،** ص 177.

37 – ولد طنطاوي جوهري عام 1870م في إحدى قرى الشرقية بمصر، ونشأ محبا لدينه ذا رغبة قوية في توجيه المسلمين إلى الإيمان الراسخ بالله تعالى عن طريق النظر في ملكوته وآثار نعمته ورحمته، وتوفي بالقاهرة سنة 1940م.

يقع تفسير الجواهر في ستة وعشرين جزءا، الجزء الأخير منها ملحق بالأجزاء السابقة ليكون استدراكا لما فات المؤلف فيها.

ولقد أمّل من تأليف تفسيره أن يشرح الله به قلوبا، ويهدي به أمما، وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين، كما يقرر أن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، في حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية.

يتوسع في تفسيره في العلوم الكونية، وينقل عن التوراة والإنجيل، ويرد على بعض النصارى والمستشرقين، كما يستشهد بكلام علماء الغرب، ويأتي في تفسيره بصور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة والتجارب العلمية والجداول الإحصائية.

وهو يؤمن بعلم تحضير الأرواح ويستنبطه من القرآن، فهو عند تفسير قوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذنا هزوا، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) [البقرة، الآيات 66 – 72]، يذكر ما انطوت عليه هذه الآيات من عجائب ويذكر منها علم تحضير الأرواح، والمناسبة التي يستطرد منها إلى هذا العلم هي إحياء الله لقتيل بني إسرائيل لمّا ضُرب بشيء من لحم البقرة التي أُمروا بذبحها. [الخالدي: **المرجع السابق،** ص 567، 568، وأحمد عمر أبو حجر: **المرجع السابق،** من ص 177 إلى ص 186، وفضل حسن عباس: **المفسرون، مدارسهم ومناهجهم،** دار النفائس، الأردن، ط1، 2007، من ص 301 إلى ص 306، ومحمد إبراهيم شريف: **المرجع السابق،**

من ص 493 إلى ص 503، ومحمد حسين الذهبي: **المرجع السابق،** ج2، من ص 201 إلى ص 210، وصبحي الصالح: **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، بيروت، ص 297].

38 – أحمد عمر أبو حجر: **المرجع السابق،** ص489، 490، والذهبي: **المرجع السابق،** ج2، ص212.

39 – زغلول النجار: **المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط10، 2008م، ص9 – 11، وزغلول النجار: **من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ج1، ص 34-37، والشدّي: **المرجع السابق،** ص 15، 16، 17، ومناع القطان: **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2011، من ص 247 إلى ص 251.

40 – الكهف 51.

41 – أحمد عمر أبو حجر: **المرجع السابق،** من ص 440 إلى ص 442.

42 – النمل 82.

43 – هذا التفسير منقول من كتاب (بين الدين والعلم) لعبد الرزاق نوفل، ص 140.

44 – النمل 71.

45 – النمل 81.

46 – مسلم: **الجامع الصحيح**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور، دار الفكر، بيروت، ج8، ص 202.

47 – سورة ق 7.

48 – عبد العليم عبد الرحمن خضر: **المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم**، الدار السعودية، جدة، ط1، 1984م، ص 242، 243.

49 – الملك 3، 4.

50 – القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1966م، ج18، ص208، 209.

51 – بطليموس: رياضي وجغرافي وعالم فلك يوناني، من أهل القرن الثاني للميلاد، نشأ وعاش في الإسكندرية. (منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992م، ص107).

52 – كوبرنيكوس نيقولاس (1473م – 1543م): عالم فلك بولندي، قال إن الأرض وسائر الكواكب السيارة تدور حول الشمس وحول نفسها. (منير البعلبكي: **المرجع السابق**، ص 371).

53 – ابن نبي: **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ص342 ، 343.

54 – الأنبياء 20.

55 – فصلت 11.

56 – ابن نبي: **الظاهرة القرآنية**، ص246، ومحمد رشيد رضا: **الوحي المحمدي**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1988، ص242.

57 – محمد أحمد درنيقة: **القرآن والعلم،** شركة دار الأرقم، بيروت، ص109، 110، وموريس بوكاي: **القرآن والتوراة والإنجيل والعلم**، دار المعارف، القاهرة، ص163، ونادية طيارة:

موسوعة الإعجاز القرآني في العلوم والطب والفلك، مكتبة الصفاء، أبوظبي، واليمامة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007، ص 18– 21، وروبرت اغروس وجورج ستانسيو: **العلم في منظوره الجديد**، ترجمة كمال خلايلي، عالم المعرفة، الكويت، طبعة 1989م، ص61.

58 – الأنبياء 33.

59 – الأنبياء 30.

60 – ابن نبي: **الظاهرة القرآنية**، ص 246، ومحمد علي الصابوني: **حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن**، دار وحي القلم، بيروت، ط1، 2004، ص28.

61 – السجدة 7.

62 – الأنبياء 30.

63 – ابن نبي: **المرجع السابق**، ص 348، 349.

64 – القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج11، ص284.

65 – أحمد عمر أبو حجر: **المرجع السابق**، من ص470 إلى ص472، ومصطفى محمود: **القرآن: محاولة لفهم عصري**، دار أخبار اليوم، مصر، ص 256، وهند شلبي: **المرجع السابق**، ص 128 – 130، ومحمد عبد الله الشرقاوي: **القرآن والكون**، دار الجيل، بيروت، ط3، 1991، من ص158 إلى ص165.

66 – القيامة 3، 4.

In the scientific interpretation of the Quranic verses (Analytical study of selected models)

Dr. Abderrahmane TORKI *

ABSTRACT

This research deals with the definition of the scientific interpretation of the Koranic verses and words, where research includes a set of definitions for the scientific interpretation and attitudes of scholars and explainers of it between supporters and opponents of it.

Keywords: interpretation - the Quran - science – inimitability.

* Maître de conférence A: Faculté des sciences sociales et humaines, Université El-oued– Algérie.